إرشـــاد المـــستهدين إلـــى ســـيرة السلف الصالحين للمرتب والجامع

عارف خالدي

(١)

بســـــــم الله الرحمن الرحيم ، وبه نسعتين

الحمد لله الذي تفرّد بجلال ملكوته ، وتوّحد بجمال جبروته ،وتعزّز بعلو أحديته ، وتقدّس بسموّ صمديته ، وتكبّر في ذاته عن مضارعة كل نظير ، وتنزّه في صفاته عن كلّ تناه وتصوير .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده المصطفى ، وأمينه المجتبى ،وعلى آله مصابيح الدجى ،وأصحابه مفاتيح الهدى .

وبعد : فاعلم أيها القارئ الكريم أن السبب الباعث لجمع هذه الرسالةالمختصرة في سير ومناقب بعض السلف الصالحين ، والأئمة الهادين المهديين من السادات المشهورين ، أن تجعلهم لك أسوة حسنة وبهداهم اقتده ، وتحذى حذوهم في أعمالهم وأحوالهم ، والذين قال في حقهم أبو القاسم القشيري في مقدمة رسالته القشيرية في علم التصوف : (إعلموا رحمكم الله) أن المحققين من هذه الطائفة (يعني (الطائفة الصوفية) إنقرض أكثرهم ، ولم يبق في زماننا هذا (أي في ٤٣٧ هجري) الموافق ل (١٠٤٥ م) من هذه الطائفة إلا أثرهم كما قيل :

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها

وقد حصل الضعف في هذه الطريقة ، لابل إندرست ، وقد مضت الشيوخ الذين كان بهم إهتداء ، وقلّ الشباب الذين كان لهم بسيرهم وسنتهم إقتداء ، وزال الورع وطوى بساطه ، واشتد الطمع وقوى رباطه ، إلى آخر ما قال رحمه الله ،

فتأمّل ياأخي في قوله قبل عشرة قرون (أي قراب ألف سنة) إن المحققين من هذه الطائفة إنقرض أكثرهم ألخ ، تعلم أن اليوم قد إنقرض كلّهم ، ولم بيق لهم أثر إلا كما قيل : ذهب الناس وبقي النسناس،نعم ذهب التصوف

(٢)

والزهد الحقيقي الممدوح وهو الذي في زمان السلف ، وبقي التصوف الخريفي المبتدع المذموم وهو المعاصر في الخلف ، الذي كان وسيلة فذّة لجمع الحا ل والمال والشهرة والضلال ، وهم يصيدون الجهلاء ويجمعون كقارون العصر (فخرج على قومه في زينته)، وجُلُّ أعمالهم وأحوالهم مخالف للكتاب والسنة والشريعة كما يراها من لم يكن على بصره غشاوة ، أو التبس عليه النار بالجلنار ، فشتان مابين الصوفي الزاهد والصوفي الصائد ، أو كما قيل : وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف .

جعلني الله وإياكم إخوة القارئين الأعزاء من المهتدين بهدي السالفين الصالحين وأدخلنا في زمرتهم وشفاعتهم ، إنه جواد كريم رؤف رحيم .

عارف خالدي .

إبراهيم الخواص (١) (٤)

إبراهيم الخواص :

ومنهم المتبتل المتوكل ،تبتل عن الخلق ،وتوكل على الحق، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص له في التوكل الحال المشهور والذكر المنشور ، سمعت أبا محمد بكر بن أحمد بن المفيد يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله الأنصاري يقول سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص يقول من لم يصبر لم يظفر وإن لإبليس وثاقين ما أوثق بنو آدم بأوثق منهما خوف الفقر والطمع .

وسمعت أبا بكر يقول سمعت محمدا يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول من صفة الفقير أن تكون أوقاته مستوية في الانبساط لفقره صائنا له محتاطا لا تُظْهِر عليه فاقةً، ولا تبدُو منه حاجةٌ، أقلّ أخلاقِه الصبرُ والقناعة ، راحتُه في القلّة، وتَعذيبه في الكَثْرة، مستوحِشٌ من الرفاهاتِ ،متنعّمٌ بالخشوناتِ، فهو بضِدّ ما فيه الخَليقةُ ،يرَى ما هو عليه معتمَدَهُ وإليه مستراحه، ليس له وقتٌ معلومٌ ،ولا سببٌ معروفٌ، فلا تراه إلا مسرورًا بفقره، فَرِحا بضُرّه ،مؤْنَتَه على نفسه ثَقيلةٌ ،وعلى غَيره خَفيفةٌ، يعزّ الفقرَ ويعظّمه، ويُخْفيه بجهده ،ويكتمُه حتى عن أشْكاله يسترُه، قد عظُمَتْ من الله تعالى عليه فيه المنةُ وجَلّ قدرُها في قلبه من نعمةٍ، فليس يُريد بما اختار الله له بدلاً، ولا يبغى عنه حِوَلاً، فمِنْ نعوتهم اثنتي عشرة خَصْلةً: أولُها أنهم كانوا بوعدِ الله مطمئنين ،والثانية مِن الخَلْق آيسين، والثالثة عداوتهم للشياطين ،والرابعة كانوا من حيث الحق في الأشياء خارجين، والخامسة كانوا على الخلق مشفقين، والسادسة كانوا لأذى الناس محتمِلين، والسابعة كانوا لمواضع العداوةِ لا يدَعون النصيحة لجميع المسلمين ،والثامنة كانوا في مواطن الحق متواضعين، والتاسعة كانوا بمعرفة الله مشتغلين ،والعاشرة كانوا الدهرَ على

طهارة ، والحادية عشر كان الفقرُ رأس مالهم، والثانية عشر كانوا في الرضا فيما قَلّ أو كثُر،وأحبّوا أو كرِهوا عن الله واحداً، فهذه جملة من صفاتهم يقصُر وصفُ الواصفين عن أسبابهم ،وكان يقول أربع خصال عزيزة: عالمٌ مستعمل لِعلْمه، وعارِفٌ ينطِق عن حقيقة فِعْلِه، ورجلٌ قائم لله بلا سبب ،ومريدٌ ذاهب عن الطمع،

وقال: الحكمة تنزل من السماء فلا تسكن قلبا فيه أربعة: الركونُ إلى الدنيا وهمُّ غدٍ، وحبُّ الفُضول، وحُسد أخٍ، قال :ولا يصح الفقرُ للفقيرِ حتى تكون فيه خصلتان :إحداهما الثقةُ بالله، والأخرى الشكرُ لله فيما زُوِي عنه مما ابْتُلِي به غيرُه من الدنيا ،ولا يكمُل الفقيرُ حتى يكون نظرُ الله له في المنع أفضل من نظره له في العطاءِ، وعلامة صدقه في ذلك أن يجد للمنعِ من الحلاوة مالا يجِدُ للعطاء/لا يعرفه غيرُ بارئه الذي خصه بمعرفته وأياديه فهو لا يرَى سوى مليكه يملك إلا ما كان من تمليكه فكلُّ شيء له تابع وكل شيء له خاضع .

قال وسمعت أبا إسحاق يقول من أراد اللهُ لله بذل له نفسَه وأدناه مِنْ قربه ومن أراده لنفسِه أشبعه من جنانه وأرواه من رضوانه وقال ... عليل ليس يبرئه الدواء ... طويل الضر يفنيه الشفاء ... سرائره بواد ليس تبدو ... خفيات إذا برح الخفاء ...

أخبرني محمد بن نصير في كتابه وأخبرني عنه أبو الفضل الطوسي قالِ بتُ ليلة مع إبراهيم فانتبهت فإذا هو يناجي إلى الصباح وهو يقول ... برح الخفاء وفي التلاقي راحة ... هل يشتفي خِلٌ بغير خليله ... قال وسمعتُ إبراهيم بن أحمد يقول من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة له

سمعت محمد بن أحمد يقول سمعت أبا بكر الأنصاري يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول علم العبد بقرب قيام الله على العبد يوحشه من

(٦٦)

(٣)

الخلق ويقيم له شاهد الأنس بالله وعلم العبد بأن الخلق مسلطين مأمورين يزيل عنه خوفهم ويقيم في قلبه خوف المسلط لهم

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول سمعت الأزدي يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول دواء القلب خمسة أشياء :قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين،

وقال إبراهيم على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عزه ويقيم له العز في قلوب المؤمنين فذلك قوله تعالى ولله العِزَّة ولرسوله وللمؤمنين

وقال إبراهيم عقوبة القلب أشد العقوبات ومقامها أعلى المقامات وكرامتها أفضل الكرامات وذكرها أشرف الأذكار وبذكرها تستجلب الأنوار عليها وقع الخطاب وهي المخصوصة بالتنبيه والعتاب

سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول سمعت محمد بن عبيدالله الأنصاري يقول سمعت إبراهيم بن أحمد الخواص يقول الفقيرُ يعمل على الإخلاص وجلاء القلب وحضوره للعمل، والغنيّ يعمل على كثرة الوَساوس وتفرقةِ القلب في مواضع الأعمال، والفقيرُ ضعفُ بدنه في العَمل في قوةِ معرفته وصحة توكله، والفقيرُ يعمل على إدراك حقيقةِ الإيمان وبلوغ ذِروته، والغنيّ يعمل على نقصانٍ في إيمانه وضعف من معرفتِه ،والفقيرُ يفتخر بالله عزَّ و جل ويصُول به، والغنيّ يفتخر بالمالِ ويصُول بالدنيا ،والفقيرُ يذهبُ حيث شاء ،والغنيّ مقيَّدٌ مع مالِه، والفقيرُ يكرَه إقبالَ الدنيا، والغنيّ يحب إقبالها ،والفقير فوق مَا يقولُ ، والغنيّ دون ما يقول، والناس رجلان :رجل وعبدٌ فالرجل مهمومٌ بتدبير نفسه ،متعوبٌ بالسعي في مصلحته، والعبدُ طرحَ نفسَه في ظل الربوبية ،وكان من حيث العبودية وعلى قدر حُسن قبول العبد عن الله تكون معونة الله له ،والمتوكلون الواثقون بضمانه غابوا عن

(٧)

(٤)

الأوهام وعيون الناظرين فعظم خطر ما أوصلهم إليه، وجُل قدر ما حملهم عليه ،وعظمت منزلتهم لديه، فيا طيب عيش لو عقل، ويا لذة وصل لو كشف، ويا رفعة قدر لو وصف ، وفي ذلك يقول ... معطلة أجسامهم لا عيونهم ... ترى ما عليهم من قضاياه قد يجري ... جوارحهم عن كل لهو وزينة ... محجبة ما أن تمر إلى أمر ... فهم أمناء الله في أهل أرضه ... ملوك كرام في البراري وفي البحر ... رؤوسهم مكشوفة في بلادهم ... وهم بصواب الأمر أسبابهم تجري ... عدول ثقات في جميع صفاتهم ... أرق عباد الله مع صحة السر ... هنيئا لمغبوط يصول بسيد ... يعادل قرب الأمر والبعد في الفكر ... فيا زلفة للعبد عند مليكه ... فصار كمن في المهد ربي وفي الحجر ... ويا حسرة المحجوب عن قدر ربه ... بأدناسه في نفسه وهو لا يدري ...

قال والعارف بالله يحمله اللهُ بمعرفته، وسائر الناس تحملهم بطونُهم، ومن نظر الأشياء بعين الفناءِ كانت راحتُه في مفارقتها، ولم يأخذ منها إلا لوقته ،قال :والرزق ليس فيه توكل، إنما فيه صبر حتى يأتي الله به في وقته الذي وعد ،وإنما يقوي صبر العبد على قدر معرفته بما صبر له أو لمن صبر ،والصبر ينال بالمعرفة ،وعلى الصابر حمل مؤونة الصبر حتى يستحق ثواب الصابرين ،لأن الله تعالى جعل الجزاء بعد الصبر قال الله تعالى وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن

قال إني جاعلك للناس إماما فالجزاء إنما وقع له عليه السلام بعد ما أتم حمل البلوي،

قال وسمعت أبا إسحاق يقول الحركة للمريدين طهارة، ولسائر الناس إباحة ،وللمخصوصين عقوبة لهم إذا مالوا إلى ما فيه الحظ لأنفسهم، لأن الأسباب إنما تبطئ على العارفين وتمتنع عن الحركة إليهم لما فيهم من

(٥)

الحركة إليها فإذا فنيت آثارها تحركت إليهم وأقبل الملك بكليته عليهم وكفى بالثقة بالله مع صدق الانقطاع إليه حياطة من العبد لنفسه وأهله وولده وكل مريد يتوجه إلى الله وهموم الأرزاق قائمة في قلبه فإنه لا يفلح ولا ينفذ في توجهه قال وسمعت أبا إسحاق يقول علامة حقيقة المعرفة بالقلب خلع الحول والقوة وترك التملك مع الله في شيء من ملكه ودوام حضور القلب بالحياء من الله وشدة انكسار القلب من هيبة الله فهذه الأحوال دلائل المعارف والحقيقة فمن لم يكن على هذه الأحوال فإنما هو على الأسماء والصفات .

قال وسمعته يقول التوكل على ثلاث درجات :على الصبر والرضى والمحبة لأنه إذا توكل وجب عليه أن يصبر على توكله بتوكله لمن توكل عليه وإذا صبر وجب عليه أن يرضى بجميع ما حكم عليه وإذا رضي وجب عليه أن يكون محبا لكل ما فعل به موافقة له .

قال الشيخ :كان أبو إسحاق من المحققين في التوكل المنخلعين من حظوظهم التاركين لأحكام نفوسهم فكان الحق يحملهم ويلطفهم بلطائف لطفه من ذلك ما أخبرنيه عبدالواحد بن بكر حدثني محمد بن عبدالعزيز قال سمعت أبا بكر الحربي يقول قلت لإبراهيم الخواص حدثني بأحسن شيء مر عليك فقال خرجت من مكة عن طريق الجادة واعتقدت فيما بيني وبين الله تعالى ألا أذوق شيئا أو أنظر إلى القادسية فلما صرت بالربذةإذا أنا أعرابي يعدو وبيده السيف مسلول وبيده الأخرى قعب لبن فصاح بي يا إنسان فلم ألتفت إليه فلحقني فقال اشرب هذا وإلا ضربت عنقك فقلت هذا شيء ليس فيه شيء فأخذت فشربته فلا والله ما عارضني شيء بعد ذلك إلى أن بلغت القادسية إلى ٱخر ما في حلية الأولياء ١٠ / ٣٢٥ .

(9)

إبراهيم بن أدهم (١)

(١٠)

إبن أدهم

(... - ١٦١ هـ = ... - ٧٧٨ م)

إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي أبو إسحاق: زاهد مشهور. كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز.

وأخذ عن كثير من علماء الاقطار الثلاثة. وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن ويشترك مع الغزاة في قتال الروم.

وجاءه إلى المصيصة (من أرض كيليكيا) عبدٌ لابيه يحمل إليه عشرة آلاف درهم ويخبره أن أباه قد مات في بلخ وخلف له مالا عظيما، فأعتق العبد ووهبه الدراهم ولم يعبأ بمال أبيه.

وكان يلبس في الشتاء فروا لا قميص تحته ولا يتعمم في الصيف ولا يحتذي، يصوم في السفر والاقامة، وينطق بالعربية الفصحى لا يلحن.

وكان إذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يعظ أوجز سفيان في كلامه مخافة أن يزل.

أخباره كثيرة وفيها اضطراب واختلاف في نسبته ومسكنه ومتوفاه. ولعل الراجح أنه مات ودفن في سوفنن (حصن من بلاد الروم) كما في تاريخ ابن عساكر. وفي المكتبة الظاهرية بدمشق (سيرة السلطان إبراهيم ابن أدهم - خ) قصة عامية (١)

(٢)

(١) تهذيب ابن عساكر ٢: ١٦٧ والبداية والنهاية ١٠: ١٣٥ والشريشي ٢: ٨٢ وحلية الاولياء ٧: ٣٦٧ ثم ٨: ٣ وروض المناظر - خ - وفيه: وفاته سنة ١٦٠ هـ.

ودائرة المعارف الاسلامية ١: ٣٣ والمناوي ١: ٧٣ وفيه: مات بالجزيرة سنة ١٦٢ وحمل فدفن بصور.

ومخطوطات الظاهرية ٢٩٤ وفوات الوفيات ١: ٣.

إبراهيم بن أدهم أيضا : * ابن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة الامام العارف، سيد الزهاد، أبو إسحاق العجلي، وقيل: التميمي، الخراساني البلخي، نزيل الشام.

مولده : في حدود المئة.

حدث عن: أبيه، ومحمد بن زياد الجمحي - صاحب أبي هريرة - وأبي إسحاق السبيعي، ومنصور بن المعتمر، ومالك بن دينار، وأبي جعفر محمد ابن علي، وسليمان الاعمش، وابن عجلان، ومقاتل بن حيان.

حدث عنه: رفيقه سفيان الثوري، وشقيق البلخي، وبقية بن الوليد، وضمرة بن ربيعة، ومحمد بن حمير، وخلف بن تميم، ومحمد بن يوسف الفريابي، وإبراهيم بن بشار الخراساني خادمه، وسهل بن هاشم، وعتبة بن السكن، وحكى عن الاوزاعي، وأبو إسحاق الفزاري.

قال البخاري: قال لي قتيبة: إبراهيم بن أدهم تميمي يروي عن منصور قال: ويقال له: الجعلي.

وقال ابن معين: هو من بني عجل.

وذكر المفضل الغلابي: أنه هرب من أبي مسلم، صاحب الدعوة.

قال النسائي: هو ثقة مأمون، أحد الزهاد.

(١٢)

(٣)

وعن الفضل بن موسى، قال: حج والد إبراهيم بن أدهم وزوجته، فولدت له إبراهيم بمكة.

وعن يونس البلخي قال: كان إبراهيم بن أدهم من الاشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم، والمراكب والجنائب والبزاة (١)، فبينا إبراهيم في الصيد على فرسه يركضه، إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم: ما هذا العبث ؟ * (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) * [المؤمنون: ١١٥]، اتق الله، عليك بالزاد ليوم الفاقة.

فنزل عن دابته، ورفض الدنيا.

وفي " رسالة " القشيري، قال: هو من كورة بلخ، من أبناء الملوك، أثار ثعلبا أو أرنبا، فهتف به هاتف: ألهذا ـــــ

(١) البزاة: ج، البازي: وهو ضرب من الصقور.

[*]

ـــــ خُلقت ؟ أم بهذا أُمرت ؟ فنزل، وصادف راعيا لابيه، فأخذ عباءته، وأعطاه فرسه، وما معه، ودخل البادية، وصحبَ الثوري (١)، والفضيلَ بن عياض،

ودخل الشام، وكان يأكل من الحصاد وحفظ البساتين، ورأي في البادية رجلا، علّمه الاسم الاعظم فدعا به، فرأى الخضر، وقال: إنما علّمك أخي داود.رواها علي بن محمد المصري الواعظ (٢).

حدثنا أبو سعيد الخزاز، حدثنا إبراهيم بن بشار، حدثني إبراهيم بن أدهم بذلك، لما سألته عن بدء أمره.

ورويت عن ابن بشار بإسناد آخر، وزاد، قال: فسألت بعض المشايخ عن الحلال، فقال: عليكم بالشام، فصرت إلى المصيصة (٣)، فعملت بها أياما، ثم قيل لي: عليك بطرسوس (٤)، فإن بها المباحات، فبينا أنا على باب البحر، اكتراني رجل أنطر بستانه، فمكثتُ مدة.

قال المسيب بن واضح: حدثنا أبو عتبة الخواص: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: من أراد التوبة، فليخرج من المظالم، وليدع مخالطة الناس، وإلا لم ينل ما يريد.

قال خلف بن تميم: سمعت إبراهيم يقول: رآني ابن عجلان، فاستقبل القبلة ساجدا، وقال: سجدت لله شكرا حين رأيتُك.

قال عبدالرحمن بن مهدي: قلت لابن المبارك: إبراهيم بن أدهم ممن

---

(١) ترجمته في الصفحة: ٢٢٩.

(٢) انظر رواية الخبر في " الحلية ": ٧ / ٣٦٨، و " تهذيب ابن عساكر ": ٢ / ١٧١ - ١٧٢.

(٣) المصيصة: (مرسين)مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم، تقارب طرسوس...وكانت من مشهور ثغور الاسلام، قد ربط بها الصالحون قديما، وبها بساتين كثيرة، بسقيها جيحان، وكانت ذات سور وخمسة أبواب.

" معجم البلدان ".

(٤) طرسوس: مدينة بثغور الشام، بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم.

(١٤)

(٥)

[*سمع ؟ قال: قد سمع من الناس، وله فضل في نفسه، صاحب سرائر، وما رأيته يُظهر تسبيحا، ولا شيئا من الخير، ولا أكل مع قوم قط، إلا كان آخر من يرفع يده (١).

أبو نعيم: سمعت سفيان يقول: كان إبراهيم بن أدهم يشبه إبراهيم الخليل، ولو كان في الصحابة، لكان رجلا فاضلا (٢).

قال بشر الحافي: ما أعرف عالما إلا وقد أكل بدينه، إلا وهيب بن الورد (٣)، إبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسلم الخواص.

قال شقيق بن إبراهيم: قلت لابراهيم بن أدهم: تركت خراسان ؟ قال: ما تهنأت بالعيش إلا في الشام، أفر بديني من شاهق إلى شاهق، فمن رآني يقول: موسوس، ومن رآني يقول: جمال، يا شقيق: ما نبل عندنا من نبل بالجهاد ولا بالحج، بل كان بعقل ما يدخل بطنه (٤).

قال خلف بن تميم: سألت إبراهيم: منذكم قدمت الشام ؟ قال: منذ أربع وعشرين سنة، ما جئت لرباط ولا لجهاد، جئت لاشبع من خبز الحلال.

وعن إبراهيم، قال: الزهد فرض، وهو الزهد في الحرام.

وزهد سلامة، وهو: الزهد في الشبهات.

وزهد فضل، وهو: الزهد في الحلال (٥).

---

(١) انظر: البداية والنهاية ": ١٠ / ١٣٧.

(٢) تتمة الخبر في " البداية والنهاية ": ١٠ / ١٣٦: "..له سرائر، وما رأيته يظهر تسبيحا، ولا شيئا، ولا أكل مع أحد طعاما إلا كان آخر من يرفع يديه ".والملاحظ أن الذهبي أورد هذا القسم بخبر منفرد قبل قليل.

(٣) ترجمته في الصفحة: ١٩٨.

(١٥)

(٦)

(٤) الخبر في: " الحلية ": ٧ / ٣٦٩، و: البداية والنهاية: ١٠ / ١٣٧، و: تهذيب ابن عساكر: ٢ / ١٧٦.

(٥) انظر: البداية والنهاية: ١٠ / ١٣٧ - ١٣٨، تهذيب ابن عساكر: ٢ / ١٧٧.

ـــــــ يحيى بن عثمان البغدادي: حدثنا بقية، قال: دعاني إبراهيم بن أدهم إلى طعامه، فأتيته، فجلس، فوضع رجله اليسرى تحت أليته، ونصب اليمنى، ووضع مرفقه عليها، ثم قال: هذه جلسة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجلس جلسة العبد، خذو بسم الله.

فلما أكلنا، قلت لرفيقه: أخبرني عن أشد شئ مرّبك منذ صحبته.

قال: كنا صياما، فلم يكن لنا ما نفطر عليه، فأصبحنا، فقلت: هل لك يا أبا إسحاق أن نأتي الرستن (١)، فنكري أنفسنا مع الحصادين ؟ قال: نعم.

قال: فاكتراني رجل بدرهم، فقلت: وصاحبي ؟ قال: لا حاجة لي فيه، أراه ضعيفا.

فما زلت به حتى اكتراه بثلثين، فاشتريت من كرائي حاجتي، وتصدقت بالباقي، فقربت إليه الزاد، فبكى وقال: أما نحن فاستوفينا أجورنا، فليت شعري أو فينا صاحبنا أم لا ؟ فغضبتُ، فقال: أتضمن لي أنا وفيناه.

فأخذت الطعام فتصدقت به (٢).

وبالاسناد عن بقية، قال: كنا مع إبراهيم في البحر، فهاجت ريح، واضطربت السفينة، وبكوا، فقلنا: يا أبا إسحاق ! ما ترى ؟ فقال: يا حي حين لا حي، ويا حي قبل كل حي، ويا حي بعد كل حي، يا حي، يا قيوم، يا محسن، يا مجمل ! قد أريتنا قدرتك، فأرنا عفوك.

فهدأت السفينة من ساعته (٣).

(١٩٦)

(٧)

ضمرة: سمعت ابن أدهم، قال: أخاف أن لا أؤجر في تركي أطايب الطعام، لاني لاأشتهيه.

وكان إذا جلس على طعام طيب، قدّم إلى أصحابه، ــــــــــ

---

(١) الرستن: " بليدة قديمة كانت على نهر " الميماس "، وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصي، الذي يمر قدام حماة.

والرستن بين حماة وحمص في نصف الطريق، بها آثار باقية إلى الآن - [زمن ياقوت] - تدل على جلالتها ".

" معجم البلدان ".

(٢) انظر الخبر في " الحلية ": ٧ / ٣٧٩ - ٣٨٠.

(٣) انظر رواية " الحلية ": ٨ / ٥ - ٦، ٨ / ٧ - ٨، والبداية والنهاية ": ١٠ / ١٤٠.

ــــــــــ وقنع بالخبز والزيتون.

محمد بن ميمون المكي: حدثنا سفيان بن عيينة، قال: قيل لابراهيم ابن أدهم: لو تزوجت ؟ قال: لو أمكنني أن أطلق نفسي لفعلت (١).

عن خلف بن تميم، قال: دخل إبراهيم الجبل، واشترى فأسا، فقطع حطبا، وباعه، واشترى ناطفا (٢)، وقدمه إلى أصحابه، فأكلوا، فقال يباسطهم: كأنكم تأكلون في رهن.

عصام بن رواد بن الجراح: حدثنا أبي، قال: كنت ليلة مع إبراهيم بن أدهم، فأتاه رجل بباكورة، فنظر حوله هل يرى ما يكافئه، فنظر إلى سرجي، فقال: خذ ذاك السرج، فأخذه، فسررت حين نزل مالي بمنزلة ماله (٣).

(٨)

قال علي بن بكار: كان إبراهيم من بني عجل، كريم الحسب، وإذا حصد، ارتجز، وقال: اتخذ الله صاحبا * ودع الناس جانبا (٤) وكان يلبس فروا بلا قميص، وفي الصيف شقتين بأربعة دراهم: إزار ورداء، ويصوم في الحضر والسفر، ولا ينام الليل، وكان يتفكر، ويقبض أصحابه أجرته، فلا يمسها بيده، ويقول: كلوا بها شهواتكم، وكان ينظر (٥)،

---

(١) في " البداية والنهاية ": ١٠ / ١٣٨: " لطلقتها ".

(٢) الناطف: ضرب من الحلوى، يصنع من اللوز والجوز والفستق، ويسمى أيضا: القبيط.

قال أبو نواس:

يقول والناطف في كفه * من يشتري الحلو من الحلو (٣) انظر الخبر في " الحلية ": ٧ / ٣٨٤.

(٤) في " الحلية ": ٧ / ٣٧٣، و " البداية والنهاية ": ١٠ / ١٤٤، و " تهذيب ابن عساكر ": ٢ / ١٨٢ - ١٨٣.

(٥) كذلك عمل بالنطارة سفيان الثوري، وهو من مشاهير علماء الحديث. انظر: ص ٢٥٩.

[*]

إلى آخر ما في سير أعلام النبلاء ٧ / ٣٨٨ وما بعدها .وأخباره ومناقبه كثيرة ، وفضائله غفيرة، فانظر إلى كتب التراجم والطبقات .

ابراهيم بن أدهم أيضا

[أبوإسحاق إبراهيم بن منصور بن زيد بن جابر العجلي ويقال التميمي؛ أصله

(٩)

من بلخ وكان من أولاد الملوك، روى عن جماعة من التابعين كأبي إسحاق السبيعي وأبي حازم وقتادة ومالك بن دينار والأعمش وأبان (١) ، واشتغل بالزهد عن الرواية وكان يكون بالكوفة ثم بالشام؛ مر به يوماً بريد وهو ينظر كرماً فقال: ناولني من هذا العنب، فقال: ما أذن لي صاحبه، فقلب السوط وجعل يقنع رأسه، فطأطأ إبراهيم رأسه وقال: اضرب رأساً طال ما قد عصىالله، قال: فانخذل ومضى.

وقال شقيق البلخي: قال لي إبراهيم أخبرني عما أنت عليه، فقلت: إذا رُزقت أكلت وإذا مُنعت صبرت، قال: هكذا تعمل كلاب بلخ عندنا (٢) .

قلت له: فكيف (٣) تعمل أنتَ؟ قال: إذا رُزقت آثرت وإذا مُنعت شكرتُ.

وكان إبراهيم في البحر وهبت ريح (٤) واضطربت السفن وبكى الناس فقيل لبعضهم (٥) : هذا إبراهيم بن أدهم لو سألته أن يدعو الله، وكان (٦) قائما في ناحية من السفينة ملفوف رأسه، فدنا إليه وقال: يا أبا إسحاق، ماترى ما فيه الناس فرفع رأسه وقال: اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا رحمتك، فهدأت السفن.

قال رجل لبشر بن الحارث: إني أحب أن أسلك طريق إبراهيم بن أدهم، قال: لا تقوى، قال: ولم قال: لأن إبراهيم بن أدهم عمل ولم يقل، وأنت قلتَ ولم تعمل.

قال أبو سليمان الداراني: صلى إبراهيم خمس عشرة صلاة بوضوء واحد، وتوفي سنة١٤٠في الجزيرة وحمل إلى صور فدفن هناك، رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته، إنه على مايشاء قدير].

---

(١) وأبان: زيادة من د وحدها.

(١٠)

(٢) عندنا: زيادة من د.

(٣) ج : كيف.

(٤) د: الريح.

(٥) د: فقال بعضهم.

(٦) د: قال وكان.

وفيات الأعيان ١ / ٣١ . بقلم عارف خالدي .